



سلسلة توجيهات للمجتمع المسلم

فلاحية التبكي والتفهي

والتفيل وضوابطها

لفضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

تعليق سماحة الشيخ

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

جمع وإعداد

عادل بن علي الفريدان

دار النجاح للنشر والتوزيع

دار النجاح للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن فوزان

ظاهرة التبديع والتفسيق والتفكير / جمع وإعداد

عادل علي الفريدان . - الرياض .

٦٤ ص : ٢٠١٤ م

ردمك : ١-٣-٩١٠٤-٩٩٦٠

١- التكفير

١- الفريدان ، عادل علي (جامع)

ب - العنوان

١٧/٠٢٣٦

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع : ١٧/٠٢٣٦

ردمك : ١-٣-٩١٠٤-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

دار النجاح للنشر والتوزيع

الرياض - الروضة ٣ - هاتف : ٢٣٢٨٦٢٣

ص.ب : ٢٣٤٠١ الرياض ١١٤٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

قال الله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يَصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ ^(١) .

ويقول - سبحانه - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٍ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ ^(٢) .

ويقول - عز وجل : ﴿ إِذْ تُلْقُونَهُ بِالْأَسْتِكْمِ وتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) ﴾ ^(٣)

(١) الاحزاب الآيتين : ٧٠ ، ٧١ .

(٢) ق الآيات : ١٦ - ١٨ .

(٣) النور آية : ١٥ .

ويقول الرسول [ﷺ]: لما بين لمعاذ- رضي الله عنه - أبواب الخير ، قال له : « ألا أدلك على ملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يارسول الله ، فأخذ رسول الله [ﷺ] بلسان نفسه وقال : « كف عليك هذا » فقلت : يارسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : « ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال : على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم »^(٢) .

ثم أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر هذه الأمة بالاجتماع والاتلاف ، ونهاها عن التفرق والاختلاف ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٣١/٥ ، ٢٣٧ . ورواه الترمذي في سننه ٢٨٠/٧ ، ٢٨١ ورواه ابن ماجه في سننه ١٣١٤/٢ ، ١٣١٥ .

كلهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه .

(٢) آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٥

فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) ﴿^(١)

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩)﴾ ^(٢)

* ولقد سار صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة على هذا المنهج الذي أمرهم الله - سبحانه وتعالى - بالسير عليه ، فكانوا إخوة متحابين ، متناصرين ، متآلفين ، كما قال الله لنبيه [ﷺ] : ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن

(١) آل عمران الآيات : ١٠٢ - ١٠٥

(٢) الأنعام آية : ١٥٩ .

اللَّهُ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ (١)

* وقد وصفهم الله - عز وجل - بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَأِئِمٍّ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿٥٤﴾ (٢)

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أُخْرِجَ شَطَآءُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجَبُ
الزَّارِعُ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٩) (٣)

* وقد وصفهم النبي ﷺ بقوله : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

(١) الأنفال الآيتين : ٦٢ ، ٦٣

(٢) المائدة آية : ٥٤ .

(٣) الفتح آية : ٢٩ .

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» ^(١) وكما قال [عليه السلام]: «المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه [عليه السلام] (٢).

* وهكذا كان سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة متمسكين بهذا المنهج الرباني عاملين به في أمور حياتهم كلها ، ولذلك عندما حدثت الفتنة وحصل ما حصل من القتال بينهم لم يكفر بعضهم بعضاً ، ولا فسق بعضهم بعضاً ، ولا بدع بعضهم بعضاً ، بل مع اقتتالهم وما شجر بينهم كانت الأخوة باقية ، فلم يكونوا يتنازون بالتكفير ، والتفسيق ، والتبديع ، فما كان يسبي بعضهم بعضاً ، وما تكلم أحد في عقيدة الآخر ودينه ، بل كانوا إخوة متحابين فيما بينهم .

* بل عندما ظهرت أصول الفرق المخالفة لأهل السنة

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٨٠ / ٧ من حديث أبي بردة بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبو بردة عن أبيه أبي موسى .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١٥٢٣ / ٣ . من حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه .

والجماعة كالخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة خالفوا هذه الفرق ولم يتركوا هذا المنهج بل كانوا مع ذلك جماعة واحدة ، كما وصفهم النبي ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »^(١) ، عاملين بقوله ﷺ لما أخبر عن افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، كانوا عاملين بقوله عندما سأله عن هذه الواحدة الناجية من هي ؟ قال : « ماأنا عليه وأصحابي »^(٢) فكانوا متمسكين بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ولايزالون كذلك بحمد الله تعالى .

« علامات أهل السنة والجماعة »

علامة أهل السنة والجماعة : أنهم يد واحدة ؛ لأنهم إخوة ، فلا يكفر بعضهم بعضاً ، ولا يفسق بعضهم بعضاً ، ولا يبدع بعضهم بعضاً ؛ لأن هذه الأمور هي سمة الفرق الضالة .

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١٥٢٣ / ٣ . من حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٢٩٧ / ٧ . من حديث عبد الله بن عمرو .

* ومنها : أنهم عاملون بوصية النبي ﷺ في قوله : « من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » ^(١) . فكانوا على هذا المنهج الرباني متمسكين بسنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين ، ومنهج السلف الصالح ، ولا يزالون كذلك - ولله الحمد - وإن كانوا قلة ، إلا أنهم فيهم البركة وفيهم الخير .

* فكانوا متبعين لمنهج المهاجرين والأنصار بإحسان متمسكين بذلك ، عاملين بقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم (١٠) ﴾ ^(٢) .

(١) رواه أبو داود في سننه ٢٠٠ / ٤ ورواه الترمذي في سننه ٣١٨ / ٧ ، ٣١٩ . ورواه ابن ماجه في سننه ١٥ / ١ ، ١٦ ورواه الإمام أحمد في مسنده ١٢٦ / ٤ ، ورواه الحاكم في مستدركه ٩٧ / ١ ، ورواه الدارمي في سننه ١٥٧ / ١ كلهم من حديث العرياض بن سارية رضي الله تعالى عنه .
(٢) الحشر آية : ١٠

« من أصول مذهب أهل السنة والجماعة »

* ومن أصول مذهب أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله [ﷺ] وسلامة قلوبهم وألسنتهم لإخوانهم المسلمين في أي وقت وفي أي مكان ، يقولون دائماً ﴿ ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (١٠) ﴿ (١) .

عاملين بقول النبي [ﷺ] : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٢) ، وهذه صفة أهل السنة والجماعة « الفرقة الناجية » ، أنهم سائرون على هذا المنهج يوالي بعضهم بعضاً ، ويألف بعضهم بعضاً ، ويرحم بعضهم بعضاً ؛ ويوقر بعضهم بعضاً ؛ لأنهم جسد واحد ، وبنيان واحد ، وأمة واحدة ، يغار بعضهم لبعض ؛ ويحترم بعضهم بعضاً ، وهذه الأمور هي سمة أهل السنة والجماعة .

(١) الحشر آية : ١٠

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٩ / ١ من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

« أثر ظهور الفرق الضالة »

* وعندما ظهرت الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة نتج عن ذلك مضاعفات قبيحة وإفرازات سيئة ، أثرت على كثير من الناس ، فتأثروا بها ، وتوارثوها ، وصاروا يبعثونها وينشرونها في كل وقت مهما واتتهم الفرصة ؛ ذلك بإملاء من شياطين الجن والإنس ، وهذا خطره عظيم ، لأنه يقضي على وحدة الأمة الإسلامية .

ومن هذه المضاعفات القبيحة والإفرازات السيئة لهذه الفرق الضالة ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير ، ينشرها من ورثهم من أتباعهم ، بل هي أصل منهجهم .

وعلاوة أهل السنة هي سلامتهم من هذه الأمراض ، وعلامة المخالفين لهم اتصافهم بهذه الأمراض الخبيثة الوبائية التي هي التبديع والتفسيق والتكفير ، والاشتغال بها مهما تطاول الزمن ، ومهما تنوعت الأساليب ، هناك من يبعث هذه الآفات والأوبئة ومنهج الفرق الضالة ؛ لأن منهج أهل السنة والجماعة هو : الابتعاد عن هذه الأمور المذمومة ، والتفقه

في دين الله - عز وجل - ، والتمسك بما في كتاب الله وسنة رسوله
[ﷺ] وسلامة قلوبهم وألستهم لسلف هذه الأمة ولإخوانهم
المؤمنين ؟

❖ ولذلك قال الله - عز وجل - في حقهم : ❖ والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك
سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (٧١) ❖^(١) .

ومن أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النهي عن
التبديع والتفسيق والتكفير بغير حق ، فهم ينهون عن ذلك ،
ويحذرون منه ، وشغلهم الشاغل هو العمل الصالح ، يأمرون به
، ويفعلونه ، ويتفقهون فيه ، هذا عملهم : ❖ ويقومون الصلاة
ويؤتون الزكاة^(١) ❖ ، ينفعون أنفسهم ، وينفعون غيرهم ،
❖ ويطيعون الله ورسوله ❖^(٢) .

(١) التوبة آية : ٧١ .

(٢) التوبة آية : ٧٣ .

ومن أعظم طاعة الله ورسوله أنهم يحثون على الاجتماع على كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله [ﷺ] وعلى التآلف والتآخي في الله ؛ لأن المؤمنين جعلهم الله إخوة كما قال : ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ ^(١) .

وقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ^(٢) .

فإخوة الإيمان عندهم أوثق من إخوة النسب ، فهم يحافظون على هذه الإخوة ، وهذا منهج أهل الإيمان .

* أما أهل النفاق وفيهم الفرق الضالة فصفتهم كما قال الله - تعالى - : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ (٦٧) ^(٣) .

فصفاتهم على عكس صفات المؤمنين تماماً .

(١) آل عمران آية : ١٠٣

(٢) الحجرات آية : ١٠

(٣) التوبة آية : ٦٧ .

« ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير »

* لقد ظهرت في هذا الزمان وبين أوساط الشباب خاصة ، وبين أوساط بعض المسلمين الذين يجهلون حقيقة الإسلام ، بأن تكون عندهم غيرة زائدة ، أو حماسة في غير محلها ، ظهرت عندهم ظاهرة التكفير والتفسيق والتبديع ، وصار شغلهم الشاغل في كل أمور حياتهم هذه الصفات المذمومة من البحث والتنقيب عن المعائب وإظهارها ونشرها حتى تشتهر ، وهذا علامة فتنة وعلامة شر ، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يقي المسلمين شرها ، وأن يبصر شباب المسلمين بالطريق الصحيح ، وأن يرزقهم العمل على منهج السلف الصالح والسير عليه ، وأن يبعد عنهم دعاة السوء .

« ماهو الفسق ؟ ومتى يكون المسلم فاسقاً »

الفسق هو الخروج عن طاعة الله ، وهو نوعان : فسق الكفر وفسق مادون الكفر - وفسق ما دون الكفر لا يخرج من الملة لكنه ينقص الإيمان ففيه نوع خروج لكنه لا يخرج صاحبه من الإسلام ،

ولا يجعله فاجراً ، بل يكون فاسقاً ، ويكون المسلم فاسقاً إذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، كالزنا ، وشرب الخمر ، والسرقه ، وأكل الربا ، وما شابه ذلك من كبائر الذنوب إذا لم يستحلها ، وإنما ارتكبها عن هوى وشهوة قادته إليها ، فإنه يعد فاسقاً .

وحكمه عند أهل السنة والجماعة : أنه مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فهو من المؤمنين ، ومن أهل التوحيد ، وإذا لم تكن فيه خصلة من خصال الشرك المخرج من الملة فإنه يبقى له اسم الإيمان واسم الإسلام ، ويكون مسلماً إلا أنه ناقص الإيمان ، وهذا ما يسمى بالفسق أو الفاسق ، وإذا فعل كبيرة تستوجب الحدّ ، أقيم عليه الحدّ ، لكنه مع هذا يعد من المؤمنين ، ويعامل معاملة المؤمنين لأنه لو لم يكن من المؤمنين لما كفى إقامة الحدّ عليه ، بل كان لابد من قتله ؛ لأن المرتد لابد أن يقتل لقوله [ﷺ] : « من بدل دينه فاقتلوه » ^(١) ، فكون هذا العاصي يُقام عليه الحدّ يدل على أنه من أهل الإيمان ، ويُعامل

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٥٠ / ٨ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه « وللحديث قصة » .

معاملة المؤمنين ، ويوالى بقدر مافيه من الإيمان ، ويبغض بقدر مافيه من المعصية ؛ لأنه لم يخرج عن دائرة الإيمان وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

« مذهب الخوارج في مرتكب الكبيرة »

* أما مذهب الخوارج والمعتزلة فهو على النقيض من مذهب أهل السنة والجماعة ، فالخوارج يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه كافر خارج من الملة ، وإذا مات ولم يتب فإنه يكون مخلداً في النار على مذهبهم .

أما المعتزلة فإنهم يقولون : إنه يخرج من الإسلام ، لكنه لا يدخل في الكفر ، فيكون عندهم في منزلة بين المنزلتين ، فلا يُقال : هو كافر ، ولا مؤمن ، وإذا مات ولم يتب فإنه يكون مخلداً في النار ، كما تقول الخوارج .

« حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة »

* أما مذهب أهل السنة فيقولون : المؤمن الذي ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب لا يقال عنه : كامل الإيمان بل هو ناقص الإيمان والذين يقولون إنه كامل الإيمان هم المرجئة الذين يقولون : لا تضر

مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وهم بذلك على النقيض من الخوارج والمعتزلة الذين يقولون هو خارج من الإيمان ، فهم على طرفي نقيض .

* ومذهب أهل السنة هو الوسط في هذا الباب ، فلا يقولون إنه كامل الإيمان كما تقول المرجئة ، ولا يقولون : إنه كافر كما تقول الخوارج ولا في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة ، بل يقولون : إنه مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، يحب من وجهه ويبغض من وجهه وإذا مات ولم يتب فأمره إلى الله - سبحانه وتعالى - ، فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ، ثم يخرج من النار بعد ذلك ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ^(١) .

وكما في الحديث : « انطلق فأخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان » ^(٢) .

(١) النساء آية : ٤٨ .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٨ / ٢٠٠ ، ٢٠١ من حديث أنس بن مالك « وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل » .

* فمذهب أهل السنة والجماعة مبني على الأدلة من الكتاب والسنة ، وهو مذهب الاعتدال والوسطية ؛ لأنه وسط بين الفرق الضالة ، كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم الكافرة ، قال - تعالى - : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ ^(١) .

« أدلة عدم خروج الفاسق من الإيمان »

مما يدل على أن الفاسق ليس خارجاً من الإيمان أن الله - سبحانه وتعالى - أمر بالإصلاح بين المتقاتلين فقال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ ^(٢)

فإن الله - سبحانه وتعالى - جعل الطائفتين من المؤمنين مع أنهما يقتتلان ، ﴿ فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ ^(٣) .

(١) البقرة آية : ١٤٣ .

(٢) الحجرات آية : ٩ .

(٣) الحجرات آية : ٩ .

ثم قال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ^(١)

فجعل الله المقتلين أخوين للمؤمنين ، فدل ذلك على أن
الكبيرة التي هي دون الشرك لا تخرج من دائرة الإيمان .

* ومن ذلك : قوله - سبحانه وتعالى - لما حكم بالقصاص
لأولياء القتيل من القاتل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبَ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدَ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ
عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ^(٢) .

فعفي له يعنى : القاتل ، ومن أخيه يعنى المقتول ، فسمى القتيل أخاً
للقاتل ، مع أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب ، ومع هذا جعلهما أخوين ،
فدل ذلك على أن الكبائر التي هي دون الشرك لا تخرج من الملة .

(١) الحجرات آية : ١٠ .

(٢) البقرة آية : ١٧٨ .

« ظاهرة التبديع »

* البدعة عرفها أهل السنة والجماعة بأنها : ما أحدث في الدين مما ليس منه ، فمن جاء بعبادة يتقرب بها إلى الله ، وهي لم تكن في دين الله ، وليس لها دليل من الكتاب أو من السنة فهذه هي البدعة ، بدليل قوله [ﷺ] : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ^(١) ، وفي رواية « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ^(٢) ، لأن الواجب على المسلمين أن يقتصروا على ما شرعه الله ورسوله من العبادات ، فلا يزيدون شيئاً لم يشرعه الله ورسوله [ﷺ] ، قال - تعالى - : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ^(٣) (١١٢) ﴿

فأسلم وجهه لله يعني : جاء بالتوحيد الخالص وهو محسن ، أي متبع للرسول [ﷺ] عاملاً بما جاء به ، ولم يزد على ذلك ،

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١٣٤٣/٢ . من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٦٧/٣ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) البقرة آية : ١١٢

أما الذي زاد في العبادة شيئاً لم يشرعه الرسول [ﷺ] فهذا مبتدع وليس محسناً ؛ لأن تفسير شهادة أن محمداً رسول الله أي طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع ، فهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله .

* وكما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ^(١) .

وقال ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ (١) ^(٢) .

* إذن المبتدع هو الذي أحدث في دين الله ما ليس منه بحيث يأتي بدين لم يدل عليه دليل من القرآن أو من السنة ، وليس المبتدع كل من خالف أو أخطأ في الاجتهاد ؛ لأن المجتهد إذا أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد على اجتهاده .

والمقصود بالمجتهدين هم من تأهلوا للاجتهاد وتوفرت فيهم شروطه المعروفة ، وكذلك إذا أخطأ المخطيء عن تأويل ؛ لأن

(١) الحشر آية : ٧

(٢) الحجرات آية : ١

التأويل شبهة تدرأ عنه الحكم بأنه مبتدع ، ولأنه ظن أن تأويله سائغ
أو قلد من ظن أنه على حق فهذا يُقال في حقه أنه أخطأ أو خالف ،
ولا يُقال : إنه مبتدع .

دليل ذلك أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يجتهدون
ويختلفون فيما بينهم في بعض المسائل ، ولم يبدع بعضهم بعضاً ،
ولم يهجر بعضهم بعضاً ، بل كانوا إخوة متحابين متناهرين ؛
لأنهم أمة واحدة ، مع أنهم يختلفون في بعض الأمور
والاجتهادات التي سمح الشرع بالاجتهاد فيها .

« معرفة قدر العلماء ومكانتهم »

* فالعلماء لهم مكانتهم وقدرهم ، ولذلك فإن ظاهرة
التبديع إنما جاءت على لسان بعض الجهال أو المبتدئين في طلب
العلم ؛ لأنهم يعتبرون التأول والمقلد مبتدعاً ؛ بل أظهرها هذه
المقالة ، وصار بعضهم يبدع بعضاً فتعادوا وتقاطعوا وتدابروا ،
ولم يقتصر الأمر على ذلك فيما بينهم ، بل تناول العلماء السابقين
فوجد هؤلاء الجهال يقولون : ابن حجر مبتدع ، النووي مبتدع ،

أبو حنيفة مبتدع ، وغيرهم من كبار الأئمة ؛ وذلك من أجل أخطاء في الاجتهاد لا تقتضي أن نبدعهم ؛ لأنها أخطاء جزئية ، وهؤلاء العلماء لهم فضل في الإسلام وإمامة ومكانة - وقد قدموا للإسلام والمسلمين الكثير من الأشياء النافعة ، فمؤلفاتهم وكتبهم ينتفع بها المسلمون في فهم كتاب الله وسنة رسوله [ﷺ] ولو قدر أن في كلام بعضهم شيئاً من الخطأ ، فما لهم من مكانة وفضل وعلم في الإسلام وخدمة السنة النبوية تغطي هذه الجزئية الصغيرة ، فيجب أن نعرف قدر علمائنا - سلفاً وخلفاً - وأن نترحم عليهم ، وأن ندعو الله لهم كما قال - تعالى - : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ ^(١) .

وهذه صفة أهل الإيمان ؛ لأنهم لا يتلمسون العيوب والعثرات ، أما غيرهم فيتبعون العيوب والعثرات وينشرونها ، وهذه هي البدعة .

« أنواع البدعة »

* والبدعة ليست على حد سواء ، فهناك بدعة مكفرة ،

(١) الحشر آية : ١٠

التأويل شبهة تدراً عنه الحكم بأنه مبتدع ، ولأنه ظن أن تأويله سائغ أو قلد من ظن أنه على حق فهذا يُقال في حقه أنه أخطأ أو خالف ، ولا يُقال : إنه مبتدع .

دليل ذلك أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يجتهدون ويختلفون فيما بينهم في بعض المسائل ، ولم يبدع بعضهم بعضاً ، ولم يهجر بعضهم بعضاً ، بل كانوا إخوة متحابين متناهرين ؛ لأنهم أمة واحدة ، مع أنهم يختلفون في بعض الأمور والاجتهادات التي سمح الشرع بالاجتهاد فيها .

« معرفة قدر العلماء ومكانتهم »

* فالعلماء لهم مكانتهم وقدرهم ، ولذلك فإن ظاهرة التبديع إنما جاءت على لسان بعض الجهال أو المبتدئين في طلب العلم ؛ لأنهم يعتبرون التأول والمقلد مبتدعاً ؛ بل أظهروا هذه المقالة ، وصار بعضهم يبدع بعضاً فتعادوا وتقاطعوا وتدابروا ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فيما بينهم ، بل تناول العلماء السابقين فنجد هؤلاء الجهال يقولون : ابن حجر مبتدع ، النووي مبتدع ،

أبو حنيفة مبتدع ، وغيرهم من كبار الأئمة ؛ وذلك من أجل أخطاء في الاجتهاد لا تقتضي أن نبدعهم ؛ لأنها أخطاء جزئية ، وهؤلاء العلماء لهم فضل في الإسلام وإمامة ومكانة - وقد قدموا للإسلام والمسلمين الكثير من الأشياء النافعة ، فمؤلفاتهم وكتبهم ينتفع بها المسلمون في فهم كتاب الله وسنة رسوله [ﷺ] ولو قدر أن في كلام بعضهم شيئاً من الخطأ ، فما لهم من مكانة وفضل وعلم في الإسلام وخدمة السنة النبوية تغطي هذه الجزئية الصغيرة ، فيجب أن نعرف قدر علمائنا - سلفاً وخلفاً - وأن نترحم عليهم ، وأن ندعو الله لهم كما قال - تعالى - : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ ^(١) .

وهذه صفة أهل الإيمان ؛ لأنهم لا يتلمسون العيوب والعثرات ، أما غيرهم فيتبعون العيوب والعثرات وينشرونها ، وهذه هي البدعة .

« أنواع البدعة »

* والبدعة ليست على حد سواء ، فهناك بدعة مكفرة ،

(١) الحشر آية : ١٠

وهناك بدعة دون ذلك ، ومن هنا يجب أن نزن الأمور بموازينها ، ونراجع أهل العلم في ذلك ؛ لأنهم قسموا البدعة إلى قسمين : بدعة مكفرة كمقالات الجهمية والغلاة من الفرق ، وكل المقالات التي تخرج من الإسلام ، وبدعة دون ذلك يعد صاحبها من المسلمين لكن عنده شيء من البدعة ، فلا نجحف في حق الناس : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ ^(١) .

« التكفير »

* من الظواهر - أيضاً - التي ظهرت التكفير ، والكفر على نوعين : أحدهما كفر أصلي . وهو الكفر الذي لم يدخل صاحبه في الإسلام أصلاً ، كالمشركين والمعطلة ، وأنواع الكفرة من وثنيين وملحدين ، فهؤلاء الكفار أصليون ، والنوع الثاني : كافر ردة عن دين الإسلام ، وهو الذي يكون صاحبه مسلماً ثم يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام ، فيخرج من الدين ويصير مرتداً ، فهذا كافر كفر ردة .

* ونواقض الإسلام معروفة ومحددة عند أهل العلم ، فمن

(١) الأنعام آية : ١٥٢

أشرك بالله أو دعا غير الله أو استغاث بغير الله ، أو ذبح لغير الله فإنه يعد مرتدأ عن الإسلام ، لأنه فعل الشرك الأكبر وإن كان ينطق بالشهادتين ، وكذلك من نواقض الإسلام « سب الله ورسوله [ﷺ] ، أو الاستهزاء بشيء من كتاب الله أو سنة الرسول [ﷺ] ، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بسنته فإنه يكفر بذلك ، جادأ أو هازلاً لقوله - تعالى : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وءاياته ورسوله كتتم تستهزؤون (٦٥) لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (١) .

فما المقالة التي قالوها ؟ قالوا : مارأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب ألسنة ، وأرغب بطوناً ، وأجبن عند اللقاء » (٢) يعنون رسول الله [ﷺ] وأصحابه ، فأنزل الله تكفيرهم في كتابه في آية تُتلى إلى يوم القيامة من أجل تحذير المسلمين من الوقوع في مثل هذا ، وكذلك السحر تعلمه وتعليمه ، كفر بالله - عز وجل -

(١) التوبة الآيتين : ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ١١٩/١٠ ، ١٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥١/٢ ، ٣٥٢ ، وأسباب النزول للواحدي ص ١٨٧ / ١٨٨ .

وإدعاء علم الغيب عن طريق الكهانة ، أو عن طريق السحر
والتنجيم ، أو العرافة فهذا كفر يُخرج من الملة ، وهذا هو الذي
يحكم عليه بالكفر .

❖ كذلك إذا حرم حلالاً مجمعاً على حله ، أو أحل حراماً
مجمعاً على تحريمه فإنه يكفر بذلك ، أو أنكر شيئاً من الدين قد علم
بالضرورة ، كما لو جحد وجوب الصلاة ، أو وجوب الزكاة ، أو
وجوب الصوم ، أو الحج ، فإنه يحكم عليه بالكفر ، أما من لم
يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام فإنه لا يُحكم عليه بالكفر ، حتى
وإن كان الذي ارتكبه كبيرة من الكبائر فإنه يحكم عليه بالفسق .
وإن كان ارتكب خطأ أو معصية ومخالفة يُحكم عليه بأنه مخطيء
أو مخالف أو ما أشبه ذلك من الصفات التي تليق بما ارتكبه ،
فالإنصاف يقتضي أن نزن الأمور بموازينها الشرعية ولا نطلق الكفر
على كل من ارتكب مخالفة أو فعل ذنباً .

❖ فمن أكل الربا مثلاً نحكم عليه بأنه فاسق مرتكب لكبيرة
إلا إذا استحله أي قال : إن الربا حلال ، حيثنذ نقول : إنه كافر ؛

لأنه استحل حراماً مجمع على تحريمه ، أما إذا أكله غير مستحل له فإنه يكون فاسقاً ولا يخرج بذلك من الدين بل يُعامل معاملة الفاسقين من المؤمنين .

* إنما يُطلق التكفير جزافاً الجهلة الذين يظنون أنهم علماء وهم لم يتفقهوا في دين الله - عز وجل - وإنما يقرؤون الكتب ويتبعون العثرات ، يأخذون مسميات التفسير ويطلقونها بغير علم على غير أصحابها أو من يستحقها ؛ لأنهم لا يعرفون وضع هذه الأمور في موضعها لعدم فقههم في دين الله - عز وجل - ومثلهم في ذلك كمثل إنسان جاهل أخذ سلاحاً وهو لا يعرف كيف يستخدمه ، فهذا يوشك أن يقتل نفسه وأهله وأقاربه ؛ لأنه لا يحسن استعمال هذه الآلة .

* ومن هنا يجب على هؤلاء الذين يأخذون مسميات التبديع والتفسير والتكفير وهم لا يفقهونها أن يتعلموا قبل أن يتكلموا ، وأن يتقوا الله - عز وجل - ؛ لأن الكلام بغير علم لاسيما في هذه الأمور شر عظيم ؛ ولأنه - أيضاً - من الكلام على الله بغير علم

وهذا أعظم من الشرك لقوله - تعالى - : ﴿ قل إنما حرم ربي
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ - إلى قوله : ﴿ وأن تقولوا
على الله ما لا تعلمون ﴾ (٣٣) ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا
حلالٌ وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على
الله الكذب لا يفلحون ﴾ (١١٦) ^(٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بأيات
الله ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو
يُدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٧) ^(٤) .

* ولهذا يجب على شباب المسلمين وطلاب العلم أن
يتعلموا العلم النافع من مصادره وعلى أهله المعروفين به ، ثم بعد

(١) الأعراف آية : ٣٣

(٢) النحل آية : ١١٦ .

(٣) النحل آية : ١٠٥ .

(٤) الصف آية : ٧ .

ذلك يعلمون كيف يتكلمون ، وكيف يُنزلون الأمور منازلها ؛ لأن أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً قد حفظوا ألسنتهم فلم يتكلموا إلا بعلم .

« الخلاصة »

* إن كلمة التفسيق والتبديع والتكفير كلمة خطيرة ، لاتذهب سدى ، إذا نطلق بها الإنسان ، فهي كلمة لها أثرها ، فقد قال [عليه السلام] : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فـدباء به أحدهما » (١) .

وقال [عليه السلام] : « . . ومن لعن مؤمناً فهو كقتله ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله » (٢) .

* فإذا قال الرجل لأخيه : يافاسق ، ياكافر ، ياعدو الله ، وهو ليس كذلك ، حار عليه - أي رجع عليه - وبأل هذه الكلمة ؛

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٩٧/٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٨٤/٧ من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله تعالى عنه .

لأنه لما قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، قال الله - سبحانه وتعالى - : « من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك » ^(١) ، وهذه كلمة واحدة .

* وقال النبي [ﷺ] : « إن العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق » ^(٢) ، إذاً فالكلمة وإن كانت واحدة فهي خطيرة جداً .

فهؤلاء الذين يتكلمون في أعراض العلماء من السلف وغيرهم بالكفر والتفسيق والتبديع لا يضرون العلماء وإنما يضرون أنفسهم ؛ لأن العلماء لهم قدرهم وعلمهم ومكانتهم والله لا يضيع أعمالهم وما قدموه للإسلام والمسلمين من الأعمال الجليلة والخوض فيهم يرجع وباله على المتكلمين .

* فيجب أن يتقي الله من يتكلمون في أعراض العلماء الميتين

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٢٣/٤ من حديث جندب رضي الله تعالى عنه .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٨٤/٧ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

والأحياء ؛ لأن الله - عز وجل - قد حذر الأمة من اتباع هؤلاء لقوله
- تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٦) ^(١) .

ومعنى فتبينوا أي : تثبتوا من كلامهم ولا تتأثروا به لأول مرة
، وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ
أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُن خَيْرًا مِنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١١) ^(٢) .

* وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾
^(٣) فالله - سبحانه وتعالى - نهى عن سوء الظن بالمسلمين عامة ،
فكيف إذا كانوا من العلماء ؛ لذلك فسوء الظن بالعلماء جريمة ؛
لأنهم ورثة الأنبياء ، وإذا لم تثق الأمة في علمائها فـمن تثق ؟

(١) الحجرات آية : ٦ .

(٢) الحجرات آية : ١١ .

(٣) الحجرات آية : ١٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّوْا ﴾ ^(١) .

أي : لاتتبعوا عورات المسلمين المسـ_____تورين .

﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ ^(٢) .

أي : أن أكل لحم الميتة أهون من الكلام في أعراض العلماء لأنهم خير الأمة ، وقد قال [ﷺ] : « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » ، قالوا : يارسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ^(٣) . فهذا المتكلم لا يخرج عن حالتين أولهما أن يكون مغتاباً يأكل لحم الميتة ، أو باهتاً كذاباً .

« وجوب النصيحة »

* ومن هنا يجب على المسلمين مناصحة هؤلاء الذين

(١) الحجرات آية : ١٢ .

(٢) الحجرات آية : ١٢ .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٠١ / ٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

استطالت ألسنتهم وأن ينكروا عليهم أشدّ الإنكار ، وأن يأخذوا على أيديهم لعلهم يرجعون إلى الصواب فتسلم جماعة المسلمين من الإثم والعقاب ؛ فانصحوهم ؛ لأن الدين النصيحة ؛ ولأن كلامهم أخطر شيء على المسلمين لأنه يفرق شملهم ويضعف جماعتهم ، ويزيد العداوة بينهم ، ويذهب الثقة ، من علماء المسلمين ، وضياح الثقة بين الأمة وعلمائها هو هدف الأعداء حتى تبضيع هذه الثروة العظيمة من العلم .

❖ ولذلك يجب على الذين يتبعون عثرات العلماء أن يتوبوا إلى الله ، ويكفوا عن هذه الخطوات ؛ لأنها من خطوات الشيطان ، قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ^(١) فعلينا وعلى جميع المسلمين التوبة إلى الله - سبحانه وتعالى - وبث المحبة بين المسلمين ، وإزالة ما يسبب الأحقاد والفرقة والبغضاء بينهم .

وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، وأسأله أن يوفقنا وإياكم لبصالح العمل ، وأن يجعل عملنا صالحاً لوجهه الكريم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) النور آية : ٢١ .

تعليق سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

على محاضرة : التكفير وضوابطه التي ألقاها فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

* الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله

وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

* أما بعد : -

فهذا الكلام الطيب الذي تكلم به فضيلة الشيخ / صالح

الفوزان ، هو في موضوع خطير جدير بالناية والتنبيه ، وهو ما

يقع من بعض الناس من الكلام في أعراض العلماء بشأن ما قد يقع

من أخطاء لا يسلم أحد منها كما قال رسول الله [ﷺ] : « كل بني

آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » ^(١)

فالعصمة من الخطأ هي للأنبياء والرسل ؛ لأنهم يبلغون عن

(١) رواه الترمذي في سننه ٨ / ١٩١ ورواه ابن ماجه في سننه ٢ / ١٤٢٠ كلاهما من

حديث أنس رضي الله تعالى عنه .

اللّٰه - عز وجل - أما غيرهم فقد يقع منه الخطأ والعالم الموفق البصير
بدين اللّٰه على خير عظيم إذا اجتهد وتمحى الحق فله أجران إذا
أصاب ، وله أجر واحد إذا أخطأ ، وذنبه مغفور ، كما ثبت بذلك
النص عن النبي [ﷺ] ^(١) .

وقد أوضح صاحب الفضيلة في هذا الموضوع ما ينبغي
إيضاحه وفسر كلامه ، فجزاه اللّٰه خيراً ، وأعظم مثوبته ، وزادنا
اللّٰه ، وإياه ، وجميع المسلمين هدى وتوفيقاً ، ونفعنا جميعاً بهذا
الكلام الطيب ، وأنا أؤكد على جميع إخواني وجميع الطلبة
العناية بهذا الأمر ، والاستفادة من هذه النصيحة ، والحذر من
القول على اللّٰه بغير علم ، والحذر من الكلام في أعراض العلماء
بغير علم ، والإنسان إذا علم خطأ نبه عليه مع احترام العلماء ،
وحفظ مكانتهم كما قال النبي [ﷺ] : « ما بال أقوام قالوا

(١) انظر صحيح الإمام البخاري ١٥٧/٨ من حديث عمر وابن العاص رضي اللّٰه تعالى
عنه .

كذا وكذا» ^(١) ، فينبه على الخطأ بالدليل مع معرفة مالصاحب
الخطأ من منزلة وقدر واحترام .

فالعلماء لهم بعض الأخطاء ، والله - جل وعلا - من لطفه
وإحسانه غفر لهم مايقع من الخطأ ؛ لأنه بعد اجتهاد وتحمل للحق ،
وأثابهم على الاجتهاد بالأجر وأعطاهم على الإصابتة أجرين ؛
لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم الشهداء بتوحيد الله - عز وجل
- قال - تعالى - :

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط
لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ^(٢) .

(١) انظر مثلاً في ذلك صحيح الإمام البخاري ١٤٥ / ٨ من حديث عائشة رضي الله
عنها . وسنن النسائي ١٥٦ / ٢ من حديث أبي روح عن رجل من أصحاب النبي [ﷺ]
وموطن الإمام مالك ١٠٠٠ / ٢ من حديث عبد الله بن أبي بكر عن أبيه .
(٢) آل عمران آية : ١٨ .

* فالواجب معرفة أقدارهم ، وحسن الظن بهم ، وحملهم على أحسن المحامل ، وذكر محاسنهم ، وما قد يقع من الخطأ فليسوا معصومين والذين أصابوا لهم أجران ، والذين أخطأوا لهم الأجر على صبرهم واجتهادهم غفر الله لهم وجعلنا جميعاً من أتباعهم .

* والواجب على أهل العلم أينما كانوا التثبت من الأمور ، وخصوصاً ما يتعلق بالأحكام الشرعية ، فلا يتكلمون إلا عن علم وبصيرة ، حتى لا يقولوا على الله بغير علم ، وحتى لا يقول على رسول الله [ﷺ] بغير علم لأن القول على الرسول بغير علم كبيرة من الكبائر ، حتى جعل الله ذلك قرين كبيرة الشرك ، لما يترتب على ذلك من البلاء العظيم ، كما قال الله - تعالى - : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ﴾ ، أي : قل يا محمد للناس : ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (١)

فجاء الكلام على الله بغير علم قرين الشرك لما يترتب عليه

(١) الأعراف آية : ٣٣ .

من الخطر العظيم ، سواء كان في أسماء الله وصفاته أو في شرعه ودينه ، أو في أعراض الناس ، وأخبر الله تعالى في آية أخرى أنه من خطوات الشيطان ، فيدعوهم إليه ، كما في سورة البقرة ، قال -تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٦٨) إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾^(١) .

* فالشيطان يأمر بكل شر ومن ذلك القول على الله بغير علم ، والإنسان مسؤول عن سمعه وبصره وقلبه وعقيدته ، قال الله - سبحانه وتعالى- : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾^(٢) .

* فالواجب على أهل العلم التثبت والتبصر ، وعلى طالب العلم أن يعتدل وأن يتحرى الدليل وأن يتحرى الحق ، وأن يسأل أهل العلم فيما أشكل عليه ، ولا يدخل في أمور قد يغلط فيها ويقع فيما يضره ولا ينفعه .

(١) البقرة الآيتين : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) الإسراء آية : ٣٦ .

* نسال الله لنا ولكم ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه ،
والعافية من أسباب غضبه ، ونسأله - سبحانه - أن يوفق جميع
العلماء وطلبة العلم إلى الفقه في الدين والبصيرة في ذلك ، كما
أسأله - سبحانه - أن يوفق جميع المسلمين لما فيه صلاحهم وأن
يمنحهم الفقه في الدين إنه - جل وعلا - جواد كريم ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله .

* وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى
آله وأصحابه أجمعين .

« أسئلة مهمة تتعلق بالموضوع »

أجاب عليها فضيلة الشيخ :

صالح بن فوزان الفوزان

سـ ما هو ضابط البدعة . ومتى يقال هذا الشخص مبتدع ؟

جـ- البدعة كما قال النبي ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد »^(١) كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة فالبدعة هي كل ما لم يكن له أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فما أحدث من العبادات والأفكار وغير ذلك من أمور العبادة هذه بدع . الذي ليس له دليل من الأقوال أو من الأفعال أو الاعتقادات أو غير ذلك كل ما ليس له دليل من الكتاب أو السنة فهو يكون محدثاً وكل محدث في الدين يكون بدعة . وكل بدعة ضلالة .

سـ ما موقفنا تجاه أهل البدع كالروافض ؟ هل ندعوهم إلى

السنة وكيف نتعامل معهم لوجود واحد منهم معى في العمل

جـ- الدعوه إلى الله مطلوبة لعل الله أن ينفعهم وأن يتوبوا أو على الأقل أن تقوم الحجة عليهم . الدعوة إلى الله مطلوبه معهم ومع غيرهم ، وأما العمل إذا كان أنك لاتخضع لهذا المبتدع وليس له عليك سلطان وإنما أنت تحت إدارة أو رياسة مستقيمة وهو إنما هو

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٦٧/٣ من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها

يعمل مثلك فلا شك أن كونك مع أهل السنة ومع أهل الخير أفضل
أما إذا كنتم في عمل أو في دائرة أو مكتب وهو ليس له عليك
سلطة ولا رياسة ولا إدارة فلا حرج في ذلك . . بشرط أن تلتزم
بالسنة وتحافظ على الصلوات وتتركه جانباً . لا تبسطه ولا تأنس
معه تتركه على جانب تعدد كونه غير موجود .

س- ما حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ؟
وهل يصح لمن رأى هذا التقسيم أن يحتج بقول الرسول [ﷺ] :
« من سن سنة حسنة في الإسلام . . . الحديث ، ويقول عمر :
نعمت البدعة هذه . . ؟ » نرجو في ذلك الإفادة ، جزاكم الله
خيراً .

ج- ليس مع من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة
دليل لأن البدع كلها سيئة ، لقوله [ﷺ] : « كل بدعة ضلالة وكل
ضلالة في النار »^(١) .

(١) رواه النسائي في « سننه » (١٨٨ / ٣ - ١٨٩) من حديث جابر بن عبد الله بنحوه ،
ورواه الإمام مسلم في « صحيحه » (٥٩٢ / ٢) بدون ذكر : « وكل ضلالة في النار » من
حديث جابر بن عبد الله . وللفادة انظر : « كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث »
لأبي شامة رحمه الله تعالى ص (٩٣) وما بعده .

وأما قوله [ﷺ] : « من سن في الإسلام سنة حسنة » ^(١) .

فالمراد به : من أحيا سنة ؛ لأنه [ﷺ] قال ذلك بمناسبة ما فعله أحد الصحابة من مجيئه بالصدقة في أزمة من الأزمات ، حتى اقتدى به الناس وتابعوا في تقديم الصدقات .

وأما قول عمر رضي الله عنه : « نعمت البـدعة هذه » ^(٢) . ؛ فالمراد بذلك البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية ؛ لأن عمر قال ذلك بمناسبة جمعه الناس على إمام واحد في صلاة التراويح ، وصلاة التراويح جماعة قد شرعها الرسول [ﷺ] ؛ حيث صلاها بأصحابه ليالي ، ثم تخلف عنهم خشية أن تفرض عليهم ^(٣) .

وبقي الناس يصلونها فرادى وجماعات متفرقة ، فجمعهم عمر على إمام واحد كما كان على عهد النبي [ﷺ] في تلك الليالي التي صلاها بهم ، فأحيى عمر تلك السنة ، فيكون قد أعاد شيئاً

(١) رواه الإمام مسلم في « صحيحه » (٢/٧٠٤-٧٠٥) من حديث جرير بن عبد الله .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » (٢/٢٥٢) من حديث عبد الرحمن بن عبد القاري .

(٣) انظر : « صحيح البخاري » (٢/٢٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

قد انقطع ، فيعتبر فعله هذا بدعة لغوية لاشعرية ؛ لأن البدعة الشرعية محرمة ، لا يمكن لعمر ولا غيره أن يفعلها ، وهم يعلمون تحذير النبي [ﷺ] من البدع ^(١) .

س- التساهل في النهي عن البدع والأخطاء أمر شائع عند الكثير من المثقفين الإسلاميين ، حتى إن أحدهم يمر والناس يطوفون بالأضرحة وبالقباب دون أن يوجه كلمة ؛ لأنه مشغول ومتوجه إلى قبة البرلمان كما يقول ! ماتعليقكم ؟ ! وما هو رأيكم في مشاركة بعض النيابيين في برلمانات الحكومات التي لا تطبق الشريعة ؟

ج- قال [ﷺ] : « من رأى منكم منكراً ؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، فإن لم يستطع ؛ فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ^(٢) .

(١) للفائدة : انظر كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة (ص ٩٣ - ٩٥) .

(١) رواه الإمام مسلم في « صحيحه » (١/ ٦٩ - ٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والطواف على القبور ودعاء أصحابها هو أعظم المنكر ، ولا بد لكل مسلم من إنكاره حسب استطاعته ؛ فإن لم ينكره بلسانه ولا بقلبه ؛ فهذا دليل على عدم إيمانه .

وأما مشاركة المسلم في البرلمانات الكافرة ؛ فهذه قضية تجب دراستها والإجابة عن حكمها لدى المجامع العلمية وجهات الفتوى .

س- أخذ الناس يتدعون أشياء ويستحسنونها ، وذلك أخذاً بقول الرسول [ﷺ] : « من سن سنة حسنة في الإسلام ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة . . » إلى آخر الحديث ؛ فهل هم منحقون فيما يقولون ؟ فإن لم يكونوا على حق ؛ فما مدلول الحديث السابق ذكره ؟ وهل يجوز الابتداع بأشياء مستحسنة ؟ أجيبونا عن ذلك أثابكم الله ؟

ج- البدعة هي ما لم يكن له دليل من الكتاب والسنة من الأشياء التي يتقرب بها إلى الله .

قال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما

ليس منه ؛ فهورد ^(١) . وفي رواية : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا ؛ فهورد » ^(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ^(٣) .

والأحاديث في النهي عن البدع والمحدثات أحاديث كثير ومشهورة ، وكلام أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من المحققين كلام معلوم ومشهور وليس هناك بدعة حسنة أبداً ، بل البدع كلها ضلالة ؛ كما قال النبي ﷺ : « وكل بدعة ضلالة » .

فالذي يزعم أن هناك بدعة حسنة يخالف قول الرسول ﷺ : « فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وهذا يقول : هناك بدعة ليست ضلالة ! ولا شك أن هذا محاد لله ولرسوله .

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٦٧/٣ من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها .
(٢) رواه الإمام مسلم في « صحيحه » (٣/١٣٤٣ - ١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه الإمام مسلم في « صحيحه » (٣/١٣٤٣ - ١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .

أما قوله [ﷺ] : « من سن في الإسلام سنة حسنة ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها » ^(١) ؛ فهذا لا يدل على مايقوله هؤلاء ؛ لأن الرسول لم يقل من ابتدع بدعة حسنة ، وإنما قال : « من سن سنة حسنة » ، والسنة غير البدعة ، السنة هي ماكان موافقاً للكتاب والسنة ، موافقاً للدليل ، هذا هو السنة ؛ فمن عمل بالسنة التي دل عليها الكتاب والسنة ؛ يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ؛ يعني : من أحى هذه السنة وعلمها للناس وبينها للناس وعملوا بها اقتداءً به ؛ فإنه يكون له من الأجر مثل أجورهم ، وسبب الحديث معروف ، وهو أنه لما جاء أناس محتاجون إلى النبي [ﷺ] من العرب ، عند ذلك رق لهم الرسول [ﷺ] وأصابه شيء من الكآبة من حالتهم ، فأمر بالصدقة وحث عليها ، فقام رجل من الصحابة وتصدق بمال كثير ، ثم تتابع الناس وتصدقوا اقتداءً به ؛ لأنه بدأ لهم الطريق ، عند ذلك قال النبي [ﷺ] : « من سن في الإسلام سنة حسنة ؛ فله أجرها وأجر من عمل بها » ؛ فهذا الرجل عمل بسنة ، وهي الصدقة ومساعدة

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده « ١٢٦ / ٤ ، ١٢٧ » ورواه أبو داود في سننه « ٢٠٠ / ٤ » ورواه الترمذي في سننه « ٣١٩ / ٧ ، ٣٢٠ » كلهم من حديث العرياض بن سارية .

المحتاجين ، والصدقة ليست بدعة ؛ لأنها مأمور بها بالكتاب والسنة ؛ فهي سنة حسنة ، من أحيائها وعمل بها وبينها للناس حتى عملوا بها واقتدوا به فيها ؛ كان له من الأجر مثل أجورهم .

س- ذكرتم فضيلتكم أن كل بدعة ضلالة ، وأنه ليس هناك بدعة حسنة ، والبعض قسم البدعة إلى خمسة أقسام : بدعة واجبة ، وبدعة مندوبة ، وبدعة محرمة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ؛ فما هو الرد على هؤلاء ؟

ج- الرد أن هذه فلسفة وجدل مخالفان لقول الرسول [ﷺ] : « كل بدعة ضلالة » ^(١) ، وهم يقولون : ما كل بدعة محرمة ! فهذه فلسفة في مقابل كلام الرسول [ﷺ] وتعقيب على كلامه .

أما ماذكروه من بعض الأمثلة ، وأنها بدعة حسنة ؛ مثل جمع القرآن ؛ فهذه ليست بدعة ، هذه كلها تابعة لكتابة القرآن ، والقرآن كان يكتب ويجمع على عهد النبي [ﷺ] ،

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٥٩٢/٢ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه . وهو جزء من حديث طرفه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب ... »

وهذه متممات للمشروع الذي بدأه الرسول [ﷺ] ؛ فهي داخلة فيما شرعه .

كذلك ما قالوه من بناء المدارس ، هذا كله في تعليم العلم ، والله أمر بتعليم العلم ، وإعداد العدة له ، والرسول أمر بذلك ؛ فهذا من توابع ما أمر الله به .

لكن البدعة هي التي تحدث في الدين ، وهي ليست منه ؛ كأن يؤتى بعبادة من العبادات ليس لها دليل من الشرع ، هذه هي البدعة .

س- إذا كان التنبيه على البدعة المتأصلة سيحدث فتنة ؛ فهل السكوت عليها أولى ؟ أم يجب التنبيه ويحدث ما يحدث ؟ .

ج- حسب الظروف ، إذا كان يترتب مضرة أكثر من المصلحة ؛ فهذا ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما هو الأنسب ، لكن لا تسكت عن البيان والدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة وتعليم الناس شيئاً فشيئاً ؛ فالله يقول جل وعلا :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾^(١) . ؛ فإذا كان إظهار الإنكار يحدث مفسدة أكبر ؛ فإننا نبين ، ونبصر الناس حتى يتركوا هذا الشيء من أنفسهم ، والله جل وعلا يقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(٢) . فالجاهل يبدأ معه بالحكمة واللين ، وإذا رأينا منه بعض النفور ؛ يوعظ ويخوف بالله عز وجل ، وإذا رأينا منه أنه لا يقبل الحق ويريد أن يدفع الحق بالقوة ؛ فإنه يقابل بالقوة عند ذلك . فالحاصل أن القاعدة الشرعية أنه يجوز ارتكاب أخف الضررين لتفادي أعلاهما ، كذلك درء المفساد مقدم على جلب المصالح^(٣) ولكن هذا شيء مؤقت ؛ فنحن نتعامل مع هؤلاء الذين اعتادوا على هذا الشيء وأصروا عليه ، نتعامل معهم بالرفق واللين ، ونبين لهم أن هذا خطأ لا يجوز ، ومع كثرة التذكير والتكرار ؛ فإن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ؛ فربما يتأثرون بالموعظة والتذكير ، ويتركون هذا الشيء من أنفسهم ؛ فنحن نتبع

(١) التغابن آية : ١٦ .

(٢) النحل آية : ١٢٥ .

(٣) انظر الأشباه والنظائر ١ / للسيوطي .

الطرق الكفيلة لإنجاح المهمة ، ونستعمل الحكمة في موضعها ،
والموعظة في موضعها ، ونستعمل الشدة في موضعها ، وهكذا
يكون الداعية إلى الله عز وجل ؛ فلكل مقام مقال .

سـ. نطلب من فضيلة الشيخ توضيح موقف السلف من
الابتدعة ، وجزاكم الله خيراً ؟

جـ. السلف لا يبدعون كل أحد ، ولا يسرفون في إطلاق
كلمة البدعة على كل أحد خالف بعض المخالفات ، إنما يصفون
بالبدعة من فعل فعلاً لا دليل عليه يتقرب به إلى الله ؛ من عبادة
لم يشرعها رسول الله [ﷺ] أخذاً من قوله [ﷺ] : « من عمل
عملاً ليس عليه أمرنا ؛ فهو رد » ^(١) .

وفي رواية : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه ؛ فهو
رد » ^(٢) .

فالبدعة هي إحداث شيء جديد في الدين ، لا دليل عليه من

(١) رواه الإمام مسلم في « صحيحه » (٣/ ١٣٤٣ - ١٣٤٤) من حديث
عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٣/ ١٦٧) من حديث عائشة رضي
الله تعالى عنها .

كتاب الله ولا سنة رسول الله [ﷺ] ، هذه هي البدعة وإذا ثبت أن شخصاً ابتدع بدعة في الدين ، وأبى أن يرجع ؛ فإن منهج السلف أنهم يهجرونه ويتعدون عنه ، ولم يكونوا يجالسونه .

هذا منهجهم ، لكن كما ذكرت ، بعد أن يثبت أنه مبتدع ، وبعد أن يُنصح ولا يرجع عن بدعته ؛ فحيثُذ يهجر ؛ لئلا يتعدى ضرره إلى من جالسه وإلى من اتصل به ، ومن أجل أن يحذر الناس من المبتدعة ومن البدع .

أما المغالاة في إطلاق البدعة على كل من خالف أحداً في الرأي ، فيقال : هذا مبتدع ! كل واحد يسمى الآخر مبتدعاً ، وهو لم يحدث في الدين شيئاً ؛ إلا أنه تخالف هو وشخص ، أو تخالف هو وجماعة من الجماعات ، هذا لا يكون مبتدعاً .

ومن فعل محرماً أو معصية ؛ يسمى عاصياً ، وماكل عاص مبتدع ، وما كل مخطيء مبتدع ، لأن المبتدع من أحدث في الدين ما ليس منه ، هذا هو المبتدع ، أما المغالاة في اسم البدعة بإطلاقها على كل من خالف شخصاً ؛ فليس هذا بصحيح ؛ فقد يكون

الصواب مع المخالف ، وهذا ليس من منهج السلف ^(١) .

س- ماقولكم ياشيخ حفظكم الله في هذه المقولة : أن الذي لا يأتي ببدعة مكفرة لا يخرج من مسمى أهل السنة بل الذي يخرج من أهل السنة الذي يقع في بدعة مكفرة فقط ؟

ج- ياسبحان الله - الذي يأتي ببدعة مكفرة هذا ليس من المسلمين أصلاً ، لا يكفي أن يقال أنه ليس من أهل السنة الذي يأتي ببدعة مكفرة يقال أنه ليس من المسلمين ولا يقال أنه ليس من أهل السنة فقط لأنه إذا قيل أنه ليس من أهل السنة فهم أنه مسلم لكنه مخالف لمذهب أهل السنة فيكون كسائر المبتدعة أما من جاء ببدعه غير مكفرة فهذا هو الذي ليس من أهل السنة فالمبتدعة إذن على أقسام ..

١ - مبتدع كافر ليس من المسلمين أصلاً وهو الذي عنده بدعة مكفرة .

(١) للفائدة انظر إلى ماكتبه صاحب الفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه « هجر المبتدع » .

٢- ومبتدع يعد من المسلمين لكنه ليس من أهل السنة وهو من بدعته تقتضي الفسق فلا يمكن لمبتدع من هذين النوعين أن يقال أنه من أهل السنة أبداً أما أن يقال أنه كافر خارج من الملة وأما أن يقال أنه مبتدع من غير أهل السنة والجماعة كالمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم من الفرق .

٣- مبتدع يعد عاصياً وهو من أهل السنة وهو من كانت بدعته لا تقتضي فسقه .

س- ما حكم من يوقر أهل البدع ويحترمهم ويشني عليهم بأنهم يطبقون حكم الإسلام مع علمه بدعهم وفي بعض الأحيان عندما يذكرهم في الدروس العامة يقول : مع التحفظ على بعض المواقف عند هؤلاء المبتدعة أو يقول : بغض النظر عن ما عند هؤلاء المبتدعة الذين يحترمهم هذا القائل ويشني عليهم ويدافع عنهم لهم كلام مكتوب ومسجل فيه طعن في السنة وتجهيل للصحابة وغمز للنبي ﷺ [فما حكم هذا القائل وهل يحذر من اقواله هذه ؟

ج- لا يجوز تعظيم المبتدعة والثناء عليهم ولو كان عندهم شيء من الحق لأن مدحهم والثناء عليهم يروج بدعتهم ويجعل

المبتدعة في صفوف المقتدى بهم من رجالات هذه الأمة . والسلف
حذرونا من الثقة بالمبتدعة وعن الثناء عليهم ومن مجالستهم وفيما
كتب به أسد بن موسى : وإياك أن يكون لك من البدع أخ أو
جليس أو صاحب ، فإنه جاء الأثر : « من جالس صاحب بدعة
نزعت منه العصمة و وكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة
مشى إلى هدم الإسلام » ^(١) .

والمبتدعة يجب التحذير منهم ويجب الابتعاد عنهم ولو كان
عندهم شيء من الحق فإن غالب الضلال لا يخلون من شيء من
الحق ولكن مادام عندهم ابتداع وعندهم مخالفات وعندهم أفكار
سيئة فلا يجوز الثناء عليهم ولا يجوز مدحهم ولا يجوز التغاضي
عن بدعتهم لأن في هذا ترويحاً للبدعة وتهويناً من أمر السنة
وبهذه الطريقة يظهر المبتدعة ويكونون قادة للأمة . لا قدر الله
فالواجب التحذير منهم وفي أئمة السنة الذين ليس عندهم ابتداع
في كل عصر ولله الحمد فيهم الكفاية للأمة وهم القــــــدوة

فالواجب اتباع المستقيم على السنه الذي ليس عنده بدعة وأما

(١) الاعتصام ١/ ١٠٧ .

المبتدع فالواجب التحذير منه والتشنيع عليه حتى يحذره الناس وحتى ينقمع هو وأتباعه وأما كون عنده شيء من الحق فهذا لا يبرر الثناء عليه أكثر من المصلحة ومعلوم أن قاعدة الدين : (إن درء المفسد مقدم على جلب المصالح)^(١) وفي معاداة المبتدع درأ مفسدة عن الأمة ترجح على ما عنده من المصلحة المزعومة إن كانت ولو أخذنا بهذا المبدأ لم يضل أحد ولم يبدع أحد لأنه مامن مبتدع إلا وعنده شيء من الحق وعنده شيء من الالتزام . المبتدع ليس كافراً محضاً ولا مخالفاً للشرعية كلها وإنما هو مبتدع في بعض الأمور أو في غالب الأمور وخصوصاً إذا كان الابتداع في العقيدة وفي المنهج فإن الأمر خطير لأن هذا يصبح قدوة ومن حيثئذ تنتشر البدع في الأمة وينشط المبتدعة في ترويج بدعهم فهذا الذي يمدح المبتدعه ويشبهه على الناس بما عندهم من الحق هذا أحد أمرين إما جاهل بمنهج السلف وموقفهم من المبتدعة وهذا الجاهل لا يجوز أن يتكلم ولا يجوز للمسلمين أن يستمعوا له وإما أنه مغرض لأنه يعرف خطر البدعه ويعرف خطر المبتدعة ولكنه مغرض يريد أن يروج للبدعة .

(١) انظر الاشباه والنظائر ١ / ١٠٥ للإمام السبكي .

فعلى كل هذا امر خطير وأمر لا يجوز التساهل في البدعة وأهلها مهما كانت .

س- سؤال عن التكفير بالمعاصي يتكون من عدة فقرات
..... أولاً : هل يكفر المجاهر بالمعصية مثل الغناء أو الزنا أو
الربا ؟

ج- المعاصي على قسمين كبائر وصغائر والكبائر على
قسمين كبائر مخرجه من الملة وكبائر لا تخرج من الملة .

فالكبائر المخرجة من الملة كالشرك بالله عز وجل والكفر
بالله عز وجل هذه كبائر مخرجة من الملة ودعاء غير الله والاستغاثة
بغير الله وعبادة القبور والذبح للقبور والسحر تعلمه وتعليمه
وترك الصلاة متعمداً ولو لم يجحد وجوبها على الصحيح فهذه
كبائر مخرجه من الملة وهناك كبائر دون ذلك وهي على قسمين :

١- كبائر اعتقادية .

٢- كبائر عملية .

الكبائر الاعتقادية . مثل مقالة المعتزلة والخوارج والأشاعرة

وغيرهم ممن ينفون أسماء الله وصفاته أو ينفون أسماء الله دون الصفات أو ينفون بعض الصفات ويثبتون بعضاً . فإن هذه كبائر وصاحبها فاسق فسقاً اعتقادياً .

وأما النوع الثاني وهو الكبائر العملية مثل شرب الخمر والزنا والسرقة وقتل النفس بغير حق ومثل قذف المحصنات هذه كبائر عملية يفسق صاحبها فسقاً عملياً ولا يخرج من الملة فالكبائر الاعتقادية التي دون الشرك والكبائر العملية أيضاً كلها يفسق صاحبها .

والنوع الأول أشد من الثاني الذي عنده فسق اعتقادي أشد من الذي عنده فسق عملي . ولكن كل من الفاسقين لا يخرج من الملة إلا في حالة ما إذا كان الفاسق الإعتقادي يدعو إلى بدعته وينادي عليها هذا يكفره السلف كما كفروا دعاة الجهمية ودعاة المعتزلة الذين يدعون إلى هذه المذاهب أما مجرد أنه يعتنقها من غير أن يدعو إليها ظننها صواباً وُغُربَمن قال بها فهذا لا يكفر ولكنه يضلل يقال أنه ضال وفاسق فسقاً اعتقادياً .

اذن لا يخرج من الملة إلا الكبائر الكفرية الشركية كما قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . (١)

والله سبحانه وتعالى أوجب الحد على شارب الخمر والشارق والزاني ولو كانوا كفاراً لأمر بقتلهم بإقامة الحدود عليهم دليل على إسلامهم والله تعالى جعل المتقاتلين إخوة في الإيمان قال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ (٢)

فسمى القاتل مؤمناً وأخاً للمقتول وأمر بالإصلاح بين المتقاتلين واعتبرهم من المؤمنين . ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ (٣) . دل ذلك على أن الكبيرة التي دون الشرك لا تخرج من الملة ولكن يحكم على صاحبها بالفسق كما قال تعالى :

(١) النساء آية ٤٨ .

(١) الحجرات الآيتين : ٩ ، ١٠ .

(٢) الحجرات الآية : ٩ .

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾^(١)
 فسماهم فاسقين وأمر ببرد شهادتهم إلا أن يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾^(٢) .

الفقرة الثانية من السؤال :-

س : هل يكفر المستخف بهذه المعاصي بحيث لم يصرح باستحلالها إنما يستخف بها ويقع فيها مع علمه بحرمتها ؟

جـ- إذا كان يعتقد حرمتها فإنه لا يكفر وأما استخفافه بها فهذا دليل على ضعف إيمانه ولا يدل على كفره مادام أنه يعتقد أنها حرام

الفقرة الثالثة من السؤال :-

س- يقول السائل هل الإصرار على الكبيرة وعدم التوبة منها يجعلها كفراً مخرجاً من الملة أم أن صاحبها يشمل الوعيد أو يدخل

(١) النور آية : ٤ .

(٢) الحجرات آية : ٦ .

تحت الوعيد إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ؟

جـ- الإصرار على الكبيرة التي هي دون الشرك لا يصير المصر عليها كافراً لأنها ما دامت دون الشرك والكفر فإنه يعتبر فاسقاً ولا يخرج من الملة ولو أصر عليها .

الفقرة الرابعة من السؤال :-

س- ماهى الضوابط التي ينبغي لطالب العلم أن يعرفها لكي يحكم على فلان من الناس بأنه مستحل للمعصية المجمع على تحريمها بحيث يكفر المستحل لهذه المعصية ؟

جـ- الضوابط التي تدل على استحلال المعصية أن يصرح الشخص بأنها حلال إما بلسانه وإما بقلمه بأن يكتب بأنها حلال أو يقول إنها حلال وإما أن يشهد عليه شاهدان عدلان فأكثر بأنه يقول بحل الزنا أو بحل الخمر أو الربا أو ما أشبه ذلك حينئذ يحكم عليه بالاستحلال إما باقراره كلامياً أو كتابياً وإما بالشهادة عليه .

المصادر والمراجع

م	إسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	سنة الطبع
١	القرآن الكريم			-
٢	صحيح الإمام البخاري	محمد بن اسماعيل البخاري	دار الباز للنشر والتوزيع دار احياء التراث العربي بيروت	ط ٢-١٩٧٢
٣	صحيح الإمام مسلم	مسلم بن الحجاج	دار الحديث القاهرة	١٤٠٨ خ
٤	سنن أبي داود	داود بن سليمان الجتستاني	المكتب الإسلامي استنبول تركيا	-
٥	سنن الترمذي	محمد بن عبيد الترمذي	مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب	ط ٣-١٤٠٩ هـ
٦	سنن النسائي	أحمد بن شعيب النسائي	ودار البشائر الإسلامية بيروت لبنان	١٣٩٥ خ
٧	سنن ابن ماجه	محمد بن زيد القزويني	دار احياء التراث الإسلامي	-
٨	مسند الإمام أحمد	للإمام أحمد بن حنبل	مؤسسة قرطبه ودار الراية	ط ٢-١٤٠٢ هـ
٩	جامع البيان في تفسير القرآن	لابن جرير الطبري	دار المعرفة بيروت لبنان	ط ٢-١٤٣٢ هـ

